

## سفر النساء واختلاطن بالرجال

وفوضى الآداب بمصر

في هذه الايام التي ثبت فيها عن نساء فرسة كلهن ، حتى غايات باريس  
منهن ، انهن لبسن ثياب الحداد ، بعد رفولهن في تلك الأزياء ، التي تقلدهن فيها  
سائر النساء ، في جميع الارحاء ، وظهرن بمظهر الراهبات الناسكات ، وهن أولئك  
الفاتنات ، الكاسيات العاريات ، المائلات المييلات ، اللواتي قتن قلوب الرجال ،  
حتى صاروا يشدون اليهن الرجال ، بل يطعمون اليهن على مرآكب النار ، في سباسب  
الارض وأجواز البحار ، وتركبن المراقص والملاهي والحانات ، الى ساحات القتال  
والمستشفيات ، وإلى دور الصناعة ، وأعمال الزراعة ، لينخفن عن أمتهن أفعال هذه  
الحرب الضروس ، في هذا العصر العجيب

= في هذه الايام التي مس الناس فيها الضر ، وهدد الأمم والدول العسر ،  
فكسدت غلات الزراعة ، وقطعت معامل الصناعة ، ووقفت حركة التجارة ، وقل  
الدرهم والدينار ، وغلت أمان الأشياء ، وخاف العقلاء ان يعقب هذه الحرب قحط  
ومجاعات ، تلوها قتن وأوبئة وثورات ، وشمر المبذرون من أهل السعة والثروة ،  
بوجوب الاقتصاد في النفقة خوفا من سوء العاقبة

= في هذه الايام التي تدك فيها الحصون والمعقل ، وتدمر المعابد والمنازل ،  
وتتل العروش ، وتذهب باستقلال الشعوب ، وتندثر أقوى الدول بأساء ، وأشدهن  
بطشا ، ذلا بعد عزة ، وضعفا بعد قوة ، وفقرا بعد ثروة ، وعبودية بعد حرية

= في هذه الايام — وقد زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أفعالها ،  
وقال الانسان ماهاء وما عسى ان يكون ما لها — انبرى نفر من الشبان والشواب ،  
من المتفرجين والمتفرنجات في هذه البلاد ، يتبارون في تحبير المقالات ، وإقامة الحجج  
والبيانات ، المؤلفة من مقدمات الشبه والخيلات ، على وجوب سفر النساء المصريات ،  
واختلاطن بالرجال في الملاهي والمجتمعات ، وفي عامة الاحوال والاقوات . ليشاركن

الرجال في حريتهم ، ويساهمهم في التمتع بمحاسن (الطبيعة) ويقتبس منهم الآداب والافكار الجديدة ، ولذلك يسمون مطلبهم هذا « تحرير المرأة » فزادهم ان المرأة في رق أهلها ثم زوجها ، وانه ينبغي ان تفعل ما تشاء ولا يصح لاحد أن يحجر عليها ، ولا أن يصددها عما تحب وتهوى

يتوهم هؤلاء المساكين ان الفوضى الأدبية التي يرتعون فيها هي الحرية التي ينوه بمدحها الافرنج ، والتي بها وصلوا الى ماوصلوا اليه من العلم والصناعة ، وما أنتجا من الملك والسيادة ، ولم يعقلوا أن هذه الفوضى هي التي حلت روابطهم القومية ، وأضعفت مقوماتهم ومشخصاتهم الجنسية، وجرفت ثروتهم الى البلاد الاجنبية ، وجعلتهم غير أهل للاستقلال في إدارة بلادهم، فضلا عن مد نفوذهم وبسط سلطانهم على غيرهم ، ولم يستفيدوا منها الا انفرور بأنفسهم ، وكثرة الدعاوي العريضة بألسنتهم .

النساء المسلمات غير مسترققات في مصر ولا في غيرها ، ولا محرومات من التمتع بمحاسن الوجود وطيبات الدنيا ، فأما نساء الفلاحين فأمرهن معروف وانهن يشاركن الرجال في كل شيء ، ولا يعنين طلاب « تحرير المرأة » فيما يقولونه عن النساء المصريات . وأما نساء الموسرين في المدن اللواتي تتوجه اليهن أنظار هؤلاء المحررين ، فهن أكثر تمتعا بزينة الدنيا ونعيمها من الرجال ، الا في أمر واحد فقط وهو حرية المجاهرة بالفسق ، ومعاشرة الرجال ومخادتهم في الجهر ، فالفاسقة منهن لا تنسق الا وراء الستر ، أو في المواخير المعروفة ببيوت السر ، ولا تخرج مع خدن لها للتنزه الا مستخفية ، إلا ان تكون مغمولة أو متهتكة .

وأما البرقع فهو زينة اختارته لنفسها ، وزينة تجذب الانظار اليها ، لأنه يظهر المحاسن ، ويخفي العمايب ، وقد اعترف بذلك قاسم امين . وسبقه اليه الشيخ احمد فارس الكاتب الاجتماعي الشهير ، وقد نظم في البرقع هذين البيتين :

لا يحسب الغرُّ البراقع للنساء منعاهن عن التمادي في الهوى  
ان السفينة انما تجري اذا وضع الشراع لها على حكم الهوا

على ان البراقع كانت في عهد زيارته لمصر سائرة لمعظم الوجه ، فكيف لو رأى براقع هذه الايام التي قلت فيها من مقال سابق « تلاعبها الانفاس ، وتحترقها أشعة

عيون الناس ؟

واني لأعجب من المدافعين عن الحجاب كيف يعدون هذه البراقع البيضاء الشفافة من محصلاته أو مسماته ، وما هي الامن هاتكاته أو مزيلاته ، الا ان يكون مرادهم رد كل مايجي به خصومهم من العبث بمادات الامة لاجل التفرنج وزيادة التبتك . كما اني أعجب من اهتمام الآخرين بإزالتها دون غيرها من زينة النساء المدنيات وهي لا تمنع علما ولا عملا ولا صلاحا ولا فسادا ، الا ان يكون مرادهم ترك كل وطني احتقار له ، واستبدال الشخصيات الافرنجية بالمشخصات الوطنية تعظيما لتدريها ، أو توهمها أن تشبهنا بالأفرنج في مشخصاتهم — وهو سهل علينا — يقوم مقام جعل مقوماتنا كقوماتهم — وهو ما عز علينا — فيكون لنا شرف التلهي بقشور مدنيتهم وقد انحطت همنا عن اللحاق بهم في لبابها وحقائقها .

أولم يكفهم اننا شرعنا تقدمهم في هذه الظواهر القشرية قتريةا حكمانا بأزيائهم ، وتبسم الناس بالتدرج المعتاد في مثل ذلك ، ثم قلدناهم في الاثاث والرياش والماعون وفي كثير من المادات ، وهل كان ذلك كله الا سببا لحرف ثروتنا واقتراعهم اياها منا ، وبعد ان قضي على صناعتنا ، ولم تحل صناعتهم محلها ، دع تأثيره في اضعاف ديننا وآدابنا التي هي مقومات أمتنا فخرجنا عن كوننا أمة متماسكة بما بينها من الروابط كتماسك البناء المتين ، وصرنا كالانقاض التي لا مالك لها يأخذها المعمرون فيشيدون بها دورا جديدة لهم

لماذا لانعتبر بحال الامة الانكليزية التي نالت أعظم سيادة في الارض بأخلاقها وصفاتها وعاداتها ، كالثبات والتروي والمحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها حتى المفضولة منها ، وعدم اقتباس شي من عادات غيرها وآدابه وان كان أحسن مما عندها ، الا ان يكون بالتدرج البطيء ، في الزمن الطويل

وجملة القول إن زي النساء المدنيات بمصر هو زي زينة تجذب أنظار الرجال اليهن قلما يوجد زي يفي بهذا الغرض مثله وهو ليس من الحجاب في شيء ، ولعله أبعد الأزياء عن آداب الاسلام وصيائمه ، فلباس البدويات والقرويات السافرات الوجوه اقرب الى أدب الاسلام وصيائمه منه ، ولكن الدعوة الى إزالته

بدعوى قبحه — لانه من الحجاب الضار المدموم بزعم هؤلاء الدعاة وروح التفرنج التقليدي الذي يدفعهم اليه — دعوة ضارة مضعفة لمزاج الامة صادعة لبنائها الاجتماعي ، وانما تحسن الدعوة الى تغييره بدعوى مخالفته للآداب الدينية ، وشرف الصيانة الاسلامية ، والى استبداله بزى آخر يجمع بين الجمال والسكال ، ولا يقصد به تقليد أحد من الشعوب والاجيال .

ان المقلد لا ينفك مرتكسا في الضمف يخبط في ليل دجوجي

وأما المطلب الثاني من مطالب أعداء الحجاب — وهو اختلاط النساء بالرجال فهو الجهد الذي يؤبه له ويهتم به ، وحسبك من بيان ضرر الدعوة اليه بروح التفرنج ، وأسلوب ذم الحجاب المنسوب الى الشرع ، ما قلناه آنفا في ضرر الدعوة الى تغيير الزى ، وتأمل في الموضوع نفسه لتدرك ما فيه من الضرر أو النفع .

فقل عدد نساء الموسرين في المدن لا يبلغ معشار  $\frac{1}{100}$  عدد نساء الفقراء اللواتي يعين في الأسواق والطرقات أو يخدمن في البيوت ونساء القرى والبادية ، وهؤلاء هن اللواتي يوصفن بالحجاب ، والجهد كله في سيلهن

هذا العدد القليل من النساء يخالط الرجال الاجانب كل يوم في الأسواق والشوارع والمتنزهات ، وكذا في بعض البيوت . فالتساء المدينيات يشترين بأنفسهن من الرجال كل ما يحتجن اليه من الثياب والحلي والأعطار وأدوات الزينة حتى ما يستحيا من ذكره . ونرى الكثيرات منهن في ضواحي المدن ومتنزهاتها يركبن مع الرجال في المراكب ، أو عاشرتهم في الطرقات ، ومنهن السافرة عن وجهها . والمخاصرة لخدمتها ، واذا سمعت أخبار بيوت السر من وقائع الشحنة (البوليس) أو المختبرين تعلم ان هذه البيوت النجسة كثيرة جدا ، وان أخذانها من النساء ( المحجبات ) ، وعشاقهن من الافندية والبكوات والباشوات ، يعدون بالألوف لا بالمئات ، دع ذكر الذين يذهبون بنسأهم الى أوربة فيلبس مدعسفرهن ملابس الافرنجيات كما يفعل رجالهن ، ويحتمن معهم أو منفردات عنهم بالرجال في المطاعم والملاهي والملاعب والمراقص ، ودع ذكر الذين يدخلون أصدقاتهم من الرجال على

نساتهم في بيوتهم، ويأمرؤنهم بمجالستهم رموا كبتهم وهن حاسرات عن رؤسهن، مبديات لنحورهن، لاسافرات عن وجوههن فقط. بل أقول لك هساء ما أخجل ان أجرب به جهرا: ان المخادنة دائمة بين التلاميذ والتلميذات

كل هذا كثير شائع في مصر فما الذي بقي ممنوعا من اختلاط النساء بالرجال، حتى قام بعض الشبان والشواب ينشدونه ويجاهدون في سبيله في هذه الايام، التي صدعت بناء الانسانية أعظم صدع، وحصرت هم الشعوب كله في الخوف على استقلالها في الشرق والغرب؟

انما بقي شيان اثنان (أحدهما) ان العرف يحظر على الرجل الاجنبي ان يدخلوا بامرأة أجنبية من هؤلاء المدنيات (كما يحظر الشرع الخلوۃ بكل أجنبية بغير عذر شرعي) أو يطلب الافراد بها زيارة أو غير زيارة. فمخالفة هذا لا تزال تعد قبيحة في العرف فلا تقع من غير المتهتكين الا خفية.

(ثانيهما) ان هؤلاء النساء لا يجالسن الرجال في مجالسهم الخاصة في البيوت ولا العامة في المجامع والملاهي، الا من شذ

أما اباحة خلوۃ المرأة بالرجل اباحة مطلقة بغير نكير فلا يكاد يدكرها محاربو الحجاب في مقالاتهم اذ لا يجدون شبهة يزينونها بها، وانما يكثرون اللفظ في مجالسة النساء للرجال في المجالس الخاصة والمجامع العامة زاعمين ان ذلك يرقى عقول النساء ويزيد في علومهن وآدابهن، وهذه أظهر شبهاتهم في هذا الباب. وقد اشرعنا لها طريقا لا ينكره عرف ولا شرع فيما كتبناه في المجلد الثاني من المنار تقريفا لكتاب تحرير المرأة، وهو أنه يمكن تحصيل هذه الفائدة بمجالسة النساء في البيوت لمحارمهن من الرجال كالاخوة والاعمام والاقوال، وأولاد الاخوة والاقوات، وبقضاء الأزواج أوقات فراغهم مع نساتهم في البيوت، فلماذا يترك هذا مدعو الحرص على فائدة الاختلاط ان كانوا صادقين؟

وأما المجامع العامة قفلا يوجد في مصر منها ما يفيد النساء فائدة تستحق كل هذا الجهاد. فالمجامع العامة الدائمة هي المعروفة بالقهاوي والحانات، وغير الدائمة منها هي المآتم والأعراس، وقد وجد في البلاد قليل من الاندية الخاصة، وأحاديث

الناس فيها كاحاديثهم في الملاهي العامة من كل وجه، ولكن تلقى فيها أحيانا بعض الخطب والمحاضرات التي لا يفهم بعضها الا القارئات ، وهذه المحاضرات تنشر غالبا في الصحف فيمكن لمن يستفدن منها أن يقرأنها فيها ، ولا فائدة للنساء في مجامع الرجال سواها ، ولكنها لا تخلو من مفاسد:

غشيان النساء لهذه المجامع من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهن واغواهن إياهن ، والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء في الغالب . أما أهل الفضائل والآداب الصحيحة فقليل مام ، وأكثرم — ولا كثرة فيهم — لا يجب هذا الاختلاط ولا يميل اليه . فان وجد فيهم من يرغب فيه للإصلاح انخالص من شوائب الهوى فمن ذا الذي يعرف هؤلاء الافراد وهم أندر من الكبريت الاحمر؟ وكيف السبيل الى جمعهم في أندية خاصة يختلف النساء اليها دون غيرها لاجل ترقية أفكارهن وآدابهن ???

الى متى نفش أنفسنا ، وتعامي عن فساد الاخلاق والآداب الغالب على نابئتنا ، الذي لم يزد مع تربية التفرنج الا تفاقم واستشراء ؟ أنبذل هذه الصبابة الباقية لتسائنا من ارث فضائل سلفنا الى هؤلاء السفهاء ، ونسبي هذا اصلاحا للبيوت باصلاح النساء ؟

اذا كان « خير الناس أنفعهم للناس » كما ثبت في النقل والعقل فالفلاحون في هذه البلاد خير من هؤلاء المتفرنجين الذين تلقفوا قليلا من اصطلاحات مبادي الفنون ، لم يستعدوا بها لعمل ما للامة ، الا ان يكونوا خدما واجراء للحكومة ، التي يعدون اللهب بدمها من شعائر الوطنية الصادقة، فن تستغني الحكومة عن استخدامه منهم بمسون و يصبحون كلا على الامة وعالة على العاملين فيها كالفلاحين ، يأكلون ثمرات أعمالهم، ويفسدون ما بقي من فضائلهم وآدابهم ، ويحسبون انهم من الأئمة المصلحين فيهم ، ( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون )

ألا ان النساء في حاجة الى العلم والآداب والاصلاح، وليس الرجال أقل حاجة منهن الى ذلك . ففساد أخلاق الرجال هو الذي أفسد النساء وأضاع ثروة الامة وحل روابطها الاجتماعية، ولم يبدلها بها روابط خيرا منها ولا مثملا

ألا ان هذا الاصلاح الصحيح انما هو اصلاح النفس بتربية الاخلاق والاداب الدينية أولاً ، ثم بتعليم العلوم التي يعمل المتعلم بها من يوم خروجه من المدرسة الى ان يهرم أو يموت — وعلوم النساء العملية العامة تربية الاطفال وإدارة البيوت — وأما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الامة ديناً وعقلاً وأدباً بتأليف الجمعيات الخيرية والعملية ، فإن لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون فان الامة تظل مذنبدة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها اصلاح ( وما يتذكر الا اولو الالباب )

## الشيخ شبلي النعماني

كان الشيخ شبلي النعماني — رحمه الله وأدام النفع به — ركناً من أركان نهضة الاصلاح الاسلامي في الهند

ورجال هذا الاصلاح في كل الاقطار الاسلامية أمة وسط بين فريق الجامدين على التقاليد والعادات التي انتهى اليها أمر جمهور المسلمين بعد فتك التفرق الديني والسياسي بهم ، وانتشار البدع والخرافات فيهم ، وإضاعة جل ماترك سلفهم من العلم والمجد التليد ، وإعراضهم عن العلم الحديث والمجد الطريف — وبين فريق المتفرجين الذين أصابوا حظاً من اللغات الاجنبية ، وتلقفوا قليلاً من العلوم والفنون الاوربية ، فأحدث لهم ذلك غروراً بأنفسهم ، واحتقاراً لأمر أمتهم ، فقطقوا يمرقون منها بزلزال عقائدهم وأفكارهم ، وتغيير عاداتهم وأزيائهم ، فوهت فيهم جميع مقوماتها ، ولم يندغموا في أمة من الأمم التي يقلدونها ، على ان منهم من يحسبون انه يمكن جعل أمتهم كلها ، مثلهم أو مثلها .

المباينة بين الجامدين والمتفرجين عظيمة ، كل منهم يحقر الآخر ويكرهه ، ويعدّه علة لضعف الامة وانحطاطها . أولئك يرمون هؤلاء بالكفر والفسوق ، ويُنقرون ويُنقرون منهم ومن هذه العلوم والفنون ، ويهدونهم آلات الاجانب التي يحلون بها عناصر الامة ويستعملونها كما يستعملون عناصر الارض في تسمية ثروتهم ،

( المنار : ج ٣ ) ( ٣٥ ) ( المجلد الثامن عشر )